أحاديث الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى
المتعلقة بمقصِد الأخلاق ،
وعلاقتها بالإيمان بالله عز وجل .

إعداد

علي بن سفر فهد آل مقبل

باحث دكتوراه في جامعة الملك عبد العزيز

والمحاضر في جامعة الملك خالد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرا .

أما بعد:

لقد أولت الشريعة الإسلامية جانب الأخلاق عناية فائقة، وأقرَّ الإسلام ما كان في الجاهلية من أخلاق حميدةٍ وحسَنة، ونبذ ما سوى ذلك، وقد تعاضدت الأدلة الصريحة والنصوص الصحيحة في الكتاب والسنة، والتي تحث على مكارم الأخلاق ومحاسن السجايا والطباع، ومن ذلك ما ذكره الله - جل شأنه - في كتابه الكريم، في قوله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، وغير ذلك من النصوص التي تأمر بمكارم الأخلاق، كما نهى القرآن الكريم عن الأخلاق السيئة وحذر منها غاية الحذر، ومن ذلك قوله - جل شأنه -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات: ١١-١٢] .

كما حثت السنة المطهرة على التحلي بالأخلاق الحسنة وملازمتها والتعامل بها مع الناس، ومن ذلك ما أخبر به النبي ﷺ من حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» .[1]

(١) رواه الترمذي في سننه: أبواب البر والصلة - باب ما جاء في معاشرة الناس (٤/٣٥٥ح١٩٨٧)، وحسنه الألباني. ينظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/١٢ح١٦٥٥).

وقد ارتبطت الأَخلاق بالإيمان بالله سبحانه وتعالى ارتباطًا وثيقا؛ حيث يتجلى ذلك من خلال نصوصٍ كثيرة، ومنها على سبيل المثال؛ ما أَعلمَ به الرسول ﷺ أُمته، ويظهر ذلك من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ» . (١)

وكلما كان المسلم أَحسنُ خُلُقًا كان أَقرب الناس إِلى محبة النبي صلى الله عليه وسلم وأَدناهم منه مجلسًا يوم القيامة؛ حيث يخبر صلى الله عليه وسلم بذلك من حديث جَابِر بن عبدالله رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ(٢) فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ» . (٣)

وإِن معيار صلاح المجتمعات واستقرارها ورقيّها؛ هو بمقدار ما لديها من أَخلاق حميدةٍ ومُثُلٍ وسجايا فاضلةٍ من شأنها أَن تتحكم في سلوك أَفراد المجتمع وتصرفاته، ولذا نجد أَن المجتمعات التي لا تتسم بالأَخلاق الحميدة هي مجتمعات سريعة السقوط والانهيار، وذلك من جرَّاء التفكك والتشظي، وغياب القيم والأَخلاق، وحينها تتدهور العلاقات وتكثر الخلافات، وتُفقد الهوية، وتتراجع عندئذٍ عجلة التقدم، ويهوي الأَفراد في وحل الفوضى وتنتكس المفاهيم، وتخبو جذوة الشعور بالمسؤولية، فلا تناصح ولا وئام ولا مودة ولا احترام .

وقد كان للأَخلاق الفاضلة دورًا جوهريًا في الدعوة إِلى الله تعالى؛ حيث كان لأَخلاق المسلمين وتعاملهم مع الآخرين إِبَّان انتشارهم في أَقطار الأَرض أَكبر الأَثر في اعتناق الإِسلام والدخول فيه، وذلك لِما رأَوا في المسلمين من حميد الأَخلاق وجميل الصفات؛ حمَلَهم ذلك على حبهم والتأُثر بهم والدخول في دينهم .

---

(١) رواه الترمذي في سننه: أبواب الرضاع - باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (٣/٤٥٨ح١١٦٢)، وقال الألباني حسن صحيح. ينظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/٤٠٩ح١٩٢٣).

(٢) المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز. وقيل: أراد بالمتشدق: المستهزئ بالناس يلوي شدقه بهم وعليهم. ينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/٤٥٣).

(٣) رواه الترمذي في سننه: أبواب البر والصلة - باب ما جاء في معالي الأَخلاق (٤/٣٧٠ح٢٠١٨)، وقال الألباني حديث صحيح. ينظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/١٠٢ح٢٨٩٧).

تمهيد
تعريف الأخلاق لغة واصطلاحًا

تعريف الأخلاق لغة:

تناول أَهل اللغة تعريف الأَخلاق فعنوا بها: الدين والطبع والسجيَّة والمروءة، ومفردها خلُق، بضم اللام وسكونها، والجمع أَخلاق .[١]

تعريف الأخلاق اصطلاحًا:

كما تُعرَّف الأَخلاق في الاصطلاح على نحو ما قاله الحسن البصري رحمه الله تعالى: بأَن حقيقة حُسن الخلق بذل المعروف، وكف الأَذى وطلاقة الوجه .[٢]

وقيل: "الخلُق حالة للنفس داعية لها إِلى أَفعالها من غير فكر ولا روية . وهذه الحال تنقسم إِلى قسمين: منها ما يكون طبيعيًا من أَصل المزاج كالإِنسان الذي يُحركه أَدنى شيء نحو غضبٍ ويهيج من أَقل سبب، ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر، ثم يستمر عليه أَولا فأولا حتى يصير ملكةً وخلُقا" .[٣]

وحول المفهوم العام للأَخلاق الإِسلامية يُعرفه البعض بقوله: " هو علم الخير والشر والحُسن والقبح، وهو واحد من العلوم الإِسلامية التي تقوم على مصادر المعرفة الإِسلامية؛ منها القرآن والسنة والمصادر التشريعية الأُخرى، وأَن هذه الأَخلاق تُنظم الحياة من الناحية العملية من أَجل الحياة الخيّرة مع الآخرين أَيًا كان إِنسانًا أَم حيوانا، من حيث ما ينبغي أَن يكون عليه هذا السلوك كسلوك إنساني تجاه الآخرين، وذلك بناء على مكانته في الكون ومسئولياته التي يجب أَن ينهض بها، وبناء على ما وضع له خالقه من أَهداف في هذه الحياة" .[٤]

(١) ينظر: لسان العرب: لابن منظور (٨٦/١٠)؛ والقاموس المحيط للفيروز أبادي ص (٨٨١).
(٢) ينظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح (٢٠٧/٢).
(٣) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: ابن مسكويه ص (٤١).
(٤) علم الأَخلاق الإِسلامية: مقداد يالجن ص (٤٧).

تعريف الأخلاق الإسلامية:

وعليه فإن الأَخلاق الإسلامية: هي كل ما من شأنه الإحسان؛ سواءً كان الإحسان مع الإنسان نفسه أَم مع غيره .

أحاديث الدعوة إلى الله تعالى المتعلقة بمقصد الأخلاق، وعلاقتها بالإيمان بالله عز وجل؛

الحديث الأول

عن أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ: "وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا" . قَالَ: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: "أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ" . قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: **"أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ" قَالَ أَنَسٌ: "فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ** صلى الله عليه وسلم **وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ"** . (١)

إن من الدلالات الدعوية في الحديث أن على الداعية مراعاة التنزّل في خطاب الناس، ومخاطبتهم على قدر ما يفهمون، ويظهر ذلك من جواب النبي ﷺ للرجل السائل فقد سأله بسؤال مباشر عن موعد قيام الساعة، وأجابه - أيضا - بجواب مباشر؛ حيث أن المقصود حال مخاطبة الناس هو الفهم والاستيعاب لما يُقال لهم بطريقة سهلة ميسرة يفهمها الجميع . كما يظهر من كلامه صلى الله عليه وسلم الترفق بالسائل وتوجيهه بأحسن أُسلوب وأجمل عبارة .

وقد نقل ابن حجر رحمه الله تعالى بقوله: "سلك صلى الله عليه وسلم مع السائل أُسلوب الحكيم وهو تلقي السائل بغير ما يطلب مما يهمه أو هو أهم" . (٢)

وفي الحديث " أهمية الرجوع إلى العلماء وسؤالهم عن أُمور الدين، ورفق العالم بالسائل وتوجيه عنايته إلى ما يعود عليه بالفوائد العظيمة، وأن من حسن إسلام المرء اشتغاله بما يعنيه وتركه ما لا يعنيه، والاستعداد للدار الآخرة، وأن

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٥/١٢ح٣٦٨٨).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر (١٠/٥٦٠).

العمل لما بعد الموت هو الشيء المهم الذي يجب أَن تُصرف إليه الهمم، كما أَن على الإنسان احتقار عمله وعدم اغتراره به وتيقنه أَنه دائما محل التقصير، وفي الحديث عِظم شأن محبة الله ورسوله ﷺ، وحُسن تصرف السائل وتسديده في الإجابة لمَّا أُعيد عليه السؤال . كما يدل الحديث على عظم قدر الصحابة - رضوان الله عليهم - وحرصهم على الخير وبُعدهم عن الشر، وأَن خطاب النبي ﷺ للواحد خطابٌ للجميع ما لم يدل دليل على التخصيص . وفي الحديث تعظيم الصحابة رضي الله عنهم لأَبى بكر وعمر رضي الله عنهما ومحبتهم لهما ومعرفتهم قدرهما رضي الله عن الجميع . وفي قول أَنس رضي الله عنه : (وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ)، دلالة على جواز توسل الإنسان إلى الله بعمله الصالح، وقد دل على ذلك - أَيضاً - حديث الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار" . [١]

كما يدل الحديث على أَن " علامة محبة الله حبُّ رسوله صلى الله عليه وسلم واتباع سبيله والاقتداء بسنته؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]، وأَن من أَحب عبدًا في الله؛ فإن الله جامعٌ بينه وبينه في جنته ومُدخِله مُدخَلة وإن قصر عن عمله، ولما كان المحب للصالحين؛ إنما أَحبهم من أَجل طاعتهم لله، وكانت المحبة عملًا من أَعمال القلوب واعتقادًا لها أَثابه الله ثواب الصالحين؛ إذ النية هي الأَصل والعمل تابع لها، والله يؤتي فضله من يشاء" . [٢]

وحول سؤال الرجل للنبي ﷺ عن الساعة، فقد " كان سؤال الرسول ﷺ عن وقت قيام الساعة على وجهين، أَحدهما: على معنى التعنُّت والتكذيب بها، والآخر: على سبيل التصديق بها والشفق منها، فلما امتحن الأَعرابي، وجده يسأَل تصديقا، قال له: "أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ"، فأَلحقه بحُسن النية - من غير زيادة عمل - بأَصحاب الأَعمال الصالحة" . [٣]

(١) عشرون حديثا من صحيح البخاري دراسة اسانيدها وشرح متونها: عبد المحسن العباد ص (١٠١) بتصرف.
(٢) شرح صحيح البخاري: لابن بطال (٣٣٣/٩).
(٣) شرح السنة: البغوي (٦٢/١٣ح٣٤٧٧).

وعليه فإن محبة النبي ﷺ ضابطها هو اتباع ما أمر به وحث عليه، والابتعاد عما نهى عنه وحذر منه .

علاقة الحديث بالإيمان بالله عز وجل :

إن محبة الله عز وجل ومحبة نبيه ﷺ من مقتضيات الإيمان بالله سبحانه وتعالى فمن أحب الله تعالى آمن بنبيه ﷺ وبما أنزل عليه من الوحي، ومن أحب نبيه ﷺ آمن بما جاء به من الهدى والنور، فإن ذلك سبيل المؤمنين والصراط المستقيم وهو النهج القويم، وقد قال الله عز وجل في شأن من حاد عن هذا الطريق وصدَّ عنه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥] .

وإن من أمارات كمال الإيمان وعلاماته المحبة في الله عز وجل؛ حيث أخبر النبي ﷺ من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ" . (١)

والمراد بذلك "أي: لا يتم إيمانكم ولا يكمُل ولا تصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحابّ والأُلفة، ويعضده قوله: "أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ"، وفيه حضٌ على ما تقدم من إفشاء السلام على من عُرف ومن لم يُعرف، والسلام أول درجات البر، وأول خصال التآلف، ومفتاح استجلاب المودة، وفى إفشائه تَمكُن أُلفة المسلمين بعضهم ببعض، وإظهار لشعارهم المميز بينهم، وإلقاء الأَمن والطمأنينة بينهم، وهو معنى السلام، ودليل التواضع والتواصل، لا لغرض الدنيا، خلاف ما أنذر به ﷺ آخر الزمان من كون السلام للمعرفة؛ فيُقطع سبب التواصل" . (٢)

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان - باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (٥٣/١ح٥٤).
(٢) إكمال المعْلم بفوائد مسلم: القاضي عياض (٣٠٤/١) بتصرف يسير.

وعلى هذا فإن ارتباط المحبة بالإيمان هو ارتباط وثيق الصلة، فهي أوثق عراه وعلامة صلاحه وكمالة، والمحبة هي شعار عباد الله المؤمنين، فالمؤمن أخو المؤمن يحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه .

الحديث الثاني

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ، وَهِيَ أُمُّ أَنَسٍ[١]، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْيَتِيمَةَ، فَقَالَ: "آنْتِ هِيَهْ ؟، لَقَدْ كَبِرْتِ، لَا كَبِرَ سِنُّكِ"، فَرَجَعَتْ الْيَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: مَا لَكِ يَا بُنَيَّةُ ؟ قَالَتْ الْجَارِيَةُ: دَعَا عَلَيَّ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنِّي، فَالْآنَ لَا يَكْبَرُ سِنِّي أَبَدًا، أَوْ قَالَتْ: قَرْنِي[٢]، فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلُوثُ خِمَارَهَا[٣]، حَتَّى لَقِيَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، **فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا لَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ؟ "، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ !، أَدَعَوْتَ عَلَى يَتِيمَتِي ؟، قَالَ: "وَمَا ذَاكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ؟ "، قَالَتْ: زَعَمَتْ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنُّهَا وَلَا يَكْبَرَ قَرْنُهَا، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: "يَا أُمَّ سُلَيْمٍ !، أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرْطِي عَلَى رَبِّي، أَنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي، بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ، أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" .[٤]**

إن من الدلالات الدعوية في الحديث حُسن ملاطفة النبي صلى الله عليه وسلم ورحمته وشفقته بأُمته، ومن فوائده هذا المنهج النبوي الكريم استمالة قلوب الناس لدين الله عز وجل ومحبتهم له، وأن هذا الدين حث على ذلك وحضَّ

(١) فقوله: وهي أُم أَنس، يعني: أُم سليم هي أُم أَنس. شرح النووي على مسلم (١٥٤/١٦).

(٢) "السن والقرن بفتح القاف سواء، يقال: هو سنه وقرنه، أي مماثله في المولد، فكأنهما في قوله: " لا كبر سنك ولا كبر قرنك " تقول: لا طال عمرك؛ لأنه إذا طال عمره طال عمّر قرنه وسنه" إكمال المعلم بفوائد مسلم: القاضي عياض (٧٤/٨).

(٣) أي: تلويه على رأسها. غريب الحديث: ابن الجوزي (٣٣٣/٢).

(٤) رواه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة - باب من لعنه الرسول ﷺ أو سبه (٢٦/٨ح٢٦٠٣).

عليه، وأَمر بالتواد والتراحم والتعاطف بين أَفراده؛ فالكبير فيه يرحم الصغير، والغني يعطف على الفقير، والقوي يحنو على الضعيف، وهذه هي أَخلاق الإِسلام التي ينبغي لكل مسلم أَن يتخلق بها، والدعاة إِلى الله من باب أَولى فهم محل تقدير الناس واحترامهم، وفي نظرة الناس لهم؛ أَن ما يصدر منهم من بعض الهفوات ليس الحال فيها كما لو صدرت من غيرهم، وذلك باعتبارهم قدوات المجتمع، حقيقٌ بهم أَن يراعوا مثل ذلك ويولونه عنايتهم، ويجعلونه محل اعتبار وتأمل .

وحول بيان ما دلَّ عليه الحديث، يقول النووي رحمه الله تعالى: في الحديث " بيان ما كان عليه ﷺ من الشفقة على أُمته والاعتناء بمصالحهم، والاحتياط لهم والرغبة في كل ما ينفعهم، وأَنه إِنما يكون دعاؤه رحمةً وكفارةً وزكاةً ونحو ذلك، إِذا لم يكن أَهلًا للدعاء عليه، والسب واللعن ونحوه وكان مسلما، وإِلا فقد دعا ﷺ على الكفار والمنافقين، ولم يكن ذلك لهم رحمة؛ فإن قيل كيف يدعو على من ليس هو بأهل للدعاء عليه أَو يسبه أَو يلعنه ونحو ذلك، فالجواب ما أَجاب به العلماء ومختصره وجهان: أَحدهما: أَن المراد ليس بأهل لذلك عند الله تعالى وفي باطن الأمر، ولكنه في الظاهر مستوجب له، فيظهر له ﷺ استحقاقه لذلك بأَمارة شرعية، ويكون في باطن الأَمر ليس أَهلا لذلك، وهو ﷺ مأمور بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، والثاني: أَن ما وقع من سبَّه ودعائه ونحوه ليس بمقصود؛ بل هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية، كقوله: تربت يمينك، وفي هذا الحديث (لَا كَبِرَ سِنُّكِ)، وفي حديث معاوية (لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ)[1] ونحو ذلك، ولا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء، فخاف ﷺ أَن يُصادف شيء من ذلك إِجابةً فسأل ربه سبحانه وتعالى ورغِب إِليه في أَن يجعل ذلك رحمةً وكفارةً وقربةً وطهورًا وأَجرا؛ وإِنما كان يقع هذا منه في النادر والشاذ من الأَزمان، ولم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشًا ولا متفحشا، ولا لعانًا ولا منتقمًا لنفسه" . [2]

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة - باب من لعنه ﷺ أَو سبه (٢٧/٨ح٢٦٠٤)، وذلك من حديث ابن عباس رضي الله عنه حين أرسله النبي ﷺ ينادي معاوية رضي الله عنه قال: "فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِيَ: اذْهَبْ فَادْعُ لِيَ مُعَاوِيَةَ قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ فَقَالَ: لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ».

(٢) شرح النووي على مسلم (١٥٢/١٦).

وبهذا يتبين مدى حرصه عليه الصلاة والسلام على أُمته ورأفته بها وشفقته عليها، وقد قال الله عز وجل في وصفه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨] .

علاقة الحديث بالإيمان بالله عز وجل :

إن من الإيمان بالله سبحانه وتعالى، الإيمان ببشرية النبي صلى الله عليه وسلم وكونه بشرًا رسولا؛ حيث يتجلى ذلك في قوله في الحديث: "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ"، وكما قال الله عز وجل على لسانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠] .

فالأَنبياء والرسل - عليهم السلام - يتصفون بالصفات التي يتصف بها البشر كالأَكل والشرب والنوم والمرض ونحو ذلك كغيرهم من البشر، وهذه من لوازم البشرية؛ إلا أَن الله عز وجل ميزهم وفضلهم على غيرهم بالوحي والرسالة .

"وإن من شعب الإيمان تعظيم النبي ﷺ وإجلاله وتوقيره، وهذه منزلة فوق المحبة؛ لأَنه ليس كل مُحب معظمًا، أَلا ترى أَن الوالد يُحب ولده فيجمع له بين التكريم والتعظيم، والسيد قد يُحب مماليكه ولكن لا يعظمهم، والمماليك يُحبون ساداتهم ويعظمونهم، فعلمنا بذلك أَن التعظيم رتبة فوق المحبة" . (١)

وقد نهى النبي ﷺ عن الغلو فيه، ورفعه فوق المنزلة التي أَنزله الله إياها، ومن ذلك قوله ﷺ من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَا تُطْرُونِي(٢) كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ" . (٣)

وإن مما يقتضيه الإيمان به ﷺ اتباع ما أَمر به، واجتناب ما نهى عنه .

(١) المنهاج في شعب الإيمان: الحليمي (١٢٤/٢).

(٢) الإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه، وذلك أن النصارى أفرطوا في مدح عيسى وإطرائه بالباطل، وجعلوه ولدا، فمنعهم النبي ﷺ من أن يطروه بالباطل. شرح السنة: البغوي (٢٤٦/١٣).

(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء - باب قوله: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾ (١٢٧١/٣ح٣٢٦١).

الحديث الثالث

عن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ عَلَى نَاسٍ جُلُوسٍ، فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ ؟» قَالَ: فَسَكَتُوا، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا بِخَيْرِنَا مِنْ شَرِّنَا، قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ» . (١)

مما ورد في الحديث من المضامين الدعوية؛ أن على الداعية أن يغتنم الفرص لتعليم الناس وتذكيرهم بما يجب عليهم تجاه ربهم عز وجل، وما افترض عليهم وما أمرهم به ونهاهم عنه، فإن الذكرى نفعها عظيم، والانتفاع بها من خصائص عباد الله المؤمنين؛ حيث يقول الحق تبارك وتعالى آمرًا نبيه ﷺ بالوعظ والتذكير: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥] .

وهذه الآية " غليظة على من لا ينتفع بالموعظة، لما يخُشى عليه من النفاق، إذا زالت عنه منافع المواعظ" . (٢)

وفي هذا السياق يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "إن المتذكّر إما أن يتذكر ما يدعوا إلى الرحمة والنعمة والثواب كما يتذكر الإنسان ما يدعوه إلى السؤال فينيب، وإما أن يتذكر ما يقتضي الخوف والخشية فلا بد له من الإنابة حينئذٍ لينجو مما يخاف . ولهذا قيل في فرعون ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ فينيب ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾، وكذلك قال له موسى: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ فجمع موسى: بين الأمرين لتلازمهما . وقال في حق الأعمى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ . فذكر الانتفاع بالذكرى كما قال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ . والنفع نوعان: حصول النعمة واندفاع النقمة . ونفس اندفاع النقمة نفعٌ وإن لم يحصل معه نفع آخر، ونفس المنافع التي يخاف معها العذاب نفع، وكلاهما نفع .

---

(١) رواه الترمذي: أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ - باب (٥٢٨/٤ح٢٢٦٣). وقال الألباني حديث صحيح. ينظر: صحيح الجامع (٥٠٨/١ح٢٦٠٢).

(٢) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام: القصاب (١٩٨/٤).

فالنفع تدخل فيه الثلاثة، والثلاثة تحصل بالذكرى كما قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ . وأما ذكر التزكّي مع التذكر فهو كما ذُكر في قصة فرعون الخشية مع التذكر . وذلك أن التزكّي هو الإيمان والعمل الصالح الذي تصير به نفس الإنسان زكيَّةً كما قال في هذه السورة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾؛ فإنه لا يتزكَّى حتى يتذكَّر ما يسمعه، كما قال: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ . فلا بد لكل مؤمنٍ من خشيةٍ وتذكر . وهو إذا تذكَّر فإنه ينتفع، وقد تتم المنفعة فيتزكَّى" . (١)

وفي الحديث بيان طريقة النبي ﷺ في لفت الانتباه لما سيقوله، وذلك أّدعى للانتباه ولفت الأَنظار، ويظهر ذلك في قوله ﷺ : «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ ؟»، وفيه تمييزٌ لما سيُقال، وبيانٌ يُجلّي فيه الخير وأَهله من الشر وأَهله، وقد خشي الجلوس مما سمعوه، وذلك " لمَّا توهموا معنى التمييز تخوفوا من الفضيحة فسكتوا حتى قالها ثلاثا، فأَبرز البيان في معرض العموم؛ لئلا يفتضحوا" . (٢)

والمقصود بقوله ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ» أَي: "من يؤمَّل الناس الخير من جهته، ويأمنون من الشر من جهته، وشركم من لا يؤمِل الناس الخير منه، ولا يأمنون شره" . (٣)

وفي الحديث ضرورة ما ينبغي أَن يكون عليه المسلم من أَخلاقٍ فاضلة تنعكس على تعامله مع غيره؛ لينال بذلك الثواب الجزيل من الله عز وجل؛ حيث يتبوأُ صاحب الأَخلاق الحسنة في الجنة أَفضل المنازل .

علاقة الحديث بالإيمان بالله عز وجل :

تظهر العلاقة في كون أَهل الإيمان بالله سبحانه وتعالى هم أَهل الخير الذين يُضمرون الخير للناس، ويأمنونهم على أَموالهم وعلى أَنفسهم، ولذا يقول

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية (١٨٦/١٦) بتصرف يسير.
(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي (١٠٢/٣ح٢٨٥٧).
(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير: المناوي (٣٩٥/١).

النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ» . (١)

فجعل النبي ﷺ من اتصف بهذا الوصف، وهو أن يأمنه الناس على دمائهم وأموالهم، هو المؤمن الذي تحققت فيه علامات الإيمان؛ لأن الدافع الذي حمله على أن يأمنه الناس؛ هو الإيمان بالله عز وجل، والخوف منه ومراقبته في الظاهر والباطن، واعتقادُ ما وَصف به نفسه من أنه يعلم السر وأخفى، ولا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء .

والفرق بين المسلم والمؤمن في الحديث أنه " فسَّرَ المسلم بأمرٍ ظاهر: وهو سلامة الناس منه، وفسر المؤمن بأمر باطن: وهو أن يأمنوه على دمائهم وأموالهم، وهذه الصفة أعلى من تلك؛ فإن من كان مأمونًا سلم الناس منه؛ وليس كل من سلِموا منه يكون مأمونا، فقد يَترك أذاهم وهم لا يأمنون إليه خوفًا أن يكون ترك أذاهم لرغبةٍ ورهبة؛ لا لإيمان في قلبه" . (٢)

وعليه فإن الشريعة الإسلامية حذرت غاية الحذر من التعدي على عباد الله المؤمنين، وإيذائهم بأي نوعٍ من أنواع الأذى، وقد تظافرت الأدلة في هذ الشأن، ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨] .

وإن أذية المؤمنين لهي مما يكرهه الله - جل شأنه - كما أخبرنا بذلك المصطفى ﷺ، وذلك بقوله: «لَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ وَاحِدٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُؤْذِي المُؤْمِنَ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَكْرَهُ أَذَى المُؤْمِنِ» . (٣)

---

(١) رواه الترمذي: أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (٥/١٧ح٢٦٢٧) وقال حديث حسن صحيح.

(٢) مجموع الفتاوى: ابن تيمية (٧/٢٦٤).

(٣) رواه الترمذي: أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء لا يتناجى اثنان دون ثالث (٥/١٢٨ح٢٨٢٥)، وقال الألباني حديث صحيح. ينظر: السلسلة الصحيحة (٣/٣٩١ح١٤٠١).

الحديث الرابع

عن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا" ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ . وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ جَالِسًا، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْأَلُ، أَوْ طَالِبُ حَاجَةٍ، أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: "اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ" . (١)

مما تضمنه الحديث الدلالة على استخدام النبي ﷺ لبعض الوسائل في دعوته، وذلك للمبالغة في البيان؛ حيث يستوعب المتلقي المعنى ويفهم المراد، ويجعل لذلك أَثرًا في نفسه يحمله على عدم النسيان، وقد استعمل النبي ﷺ مثل ذلك في دعوته، وذلك في مواطن متفرقة من تعليمه ودعوته للصحابة رضي الله عنهم، ومنها - على سبيل المثال - ما رواه عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ، وَقَالَ: (هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هذا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هذَا نَهَشَهُ هذَا) . (٢)

وهذه الطريقة التي سلكها النبي ﷺ في دعوته جدير بالداعية أَن يأخذ بها إذا دعت الحاجة إِلى ذلك؛ فإنها أَدعى فهم المراد وتقريبه إِلى الأَذهان وإِدراك المقصود منه .

ومما اشتمل عليه الحديث ما ورد من "تمثيلٍ يُفيد الحضَّ على معونة المؤمن للمؤمن ونصرته، وأَن ذلك أَمرٌ متأكد لا بد منه، فإن البناء لا يتم أَمره، ولا تحصل فائدته إِلا بأن يكون بعضه يمسك بعضا ويقويه، فإن لم يكن كذلك انحلَّت أَجزاؤه، وخرب بناؤه . وكذلك المؤمن لا يستقل بأُمور دنياه ودينه إِلا بمعونة أَخيه ومعاضدته ومناصرته، فإن لم يكن ذلك عجز عن القيام بكل مصالحه، وعن مقاومة مضاده،

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الآداب - باب تعاون المؤمنين (٥/٢٢٤٢ ح٥٦٨٠).
(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق - بابٌ في الأَمل وطوله (٥/٢٣٥٩ ح٦٠٥٤).

فحينئذٍ لا يتم له نظامَ دنيا ولا دين، ويلتحق بالهالكين" . [١]

وفي الحديث أَن " تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا في أُمور الدنيا والآخرة مندوبٌ إليه، وذلك من مكارم الأخلاق، كما ينبغي للمؤمنين استعمال آدب نبيهم والاقتداء بما وصف المؤمنين بعضهم لبعض من الشفقة والنصيحة، وتشبيكه أَصابعه تأكيدًا لقوله، وتمثيلًا لهم كيف يكونون فيما خوَّلهم . وفيه: أَن العالم إذا أَراد المبالغة في البيان أَنه يمثل لهم معنى أَقواله بحركاته، وفي هذا الحديث الحث على الشفاعة للمؤمنين في حوائجهم، وأَن الشافع مأجور وإن لم يُشفع في حاجته" . [٢]

والشفاعة الحسنة ندبت إليها الشريعة في نصوصها وحثَّت عليها، وذلك لما فيها نفع الآخرين وقضاء حوائجهم وتفريج كُربهم، ولما في ذلك من الأَجر المترتب والعطاء الجزيل من المولى - جل شأنه - ومن ذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥] .

وفي سياق الآية يقول الطبري رحمه الله تعالى: في المراد منها، أَي: " يكن له من شفاعته تلك نصيبٌ، وهو الحظ من ثواب الله، وجزيل كرامته" . [٣]

وفي ذات المعنى المتعلق بقوله ﷺ : "اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ"، يُعقب ابن حجرٍ رحمه الله تعالى بقوله: أَي: "إذا عرض المحتاج حاجته عليَّ فاشفعوا له إلي فإنكم إن شفعتم حصل لكم الأَجر سواءً قُبلت شفاعتكم أَم لا، ويجري الله على لسان نبيه ما شاء، أَي: من موجبات قضاء الحاجة أَو عدمها، أَي: إن قضيتها أَو لم أَقضها فهو بتقدير الله تعالى وقضائه، وفي الحديث الحضُّ على الخير بالفعل وبالتسبب إليه بكل وجه، والشفاعة إلى الكبير في كشفِ كربةٍ ومعونةِ ضعيف - ثم نقل - ولا يُستثنى من الوجوه التي تُستحب الشفاعة فيها إلا الحدود، وأَما المصرُّون على فسادهم، المشتهرون في باطلهم فلا يُشفع فيهم ليُزجَروا عن ذلك" . [٤]

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: القرطبي (٥٦٥/٦).
(٢) شرح صحيح البخاري: لابن بطال (٢٢٧/٩) بتصرف يسير.
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري (٢٦٨/٧).
(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر (٤٥١/١٠).

وهكذا حرص النبي ﷺ على تقوية روابط الأُخوة بين المسلمين، وذلك من خلال بناء مجتمع يقوم أَفراده على التعاون والتراحم والتآخي والتعاطف، وتجمعهم رابطة الأُخوة في الدين .

علاقة الحديث بالإيمان بالله عز وجل :

إن من صفات أَهل الإيمان التراحم فيما بينهم، وإِشاعة المودة والتآلف بين أَفرادهم، وفي وصف النبي ﷺ أَجمل تمثيلٍ وأَحسنَ بيان، وذلك في قوله من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى" . (١)

ولَمَّا كان الإيمان هو الرابط بين أَهله؛ كان الناتج شعورَ بعضهم بأَلم بعض حتى أَضحوا كالجسد الواحد "إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ" .

"وإِنما جُعل المؤمنين كجسدٍ واحد؛ لأَن الإيمان يجمعهم كما يجمع الجسد الأَعضاء، فلموضع اجتماع الأَعضاء يتأَذَّى الكل بتأذي البعض وكذلك أَهل الإيمان، يتأَذى بعضهم بتأَذي البعض" . (٢)

والمؤمن يفرح بفرح إِخوانه المؤمنين، كما يحزن ويتألم لحزنهم وأَلمهم، وهذه من خصائص عباد الله المؤمنين؛ حيث يُحب أَحدهم لأَخيه ما يحبه لنفسه .

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم (٨/٢٠ح٢٥٨٦).
(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين: ابن الجوزي (٢/٢١٢ح٦٨٢).

الحديث الخامس

عن أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ[1]؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا، فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ، فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، **قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ ؟، أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ" . [2]**

في الحديث بيان مقصد دعوي وهديٍ نبوي، وهو منهج وهدي النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته؛ حيث كان ﷺ يغتنم المواقف والأحداث التي تأتي عَرَضًا حال جلوسه وبقائه مع الصحابة رضي الله عنهم؛ فيُعلمهم ويرشدهم إلى مواطن الخير، ويدلهم عليه من خلال بيانه لهم وعرضه عليهم بطريقة تشويقية يتشوَّف السامع إلى تفاصيلها ونتائجها، ولا غروَ فالنبي ﷺ أحسن الناس بيانا وأبلغهم منطِقًا وكلاما، وهو ﷺ للدعاة إلى الله أُسوة وقدوة، يسيرون في دعوتهم على منهجه، ويقتفون أثره، ويستنون بهديه وسنته، قال الله عز وجل : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا

(١) الحارث بن مالك، وفي رواية: عوف بن الحارث بن أُسيد بن جابر بن عويرة بن عبد مناف بن شجع بن عامر بن ليث، وأسلم أبو واقد قديما، وكان يحمل لواء بني ليث، وضمرة، وسعد بن بكر يوم الفتح، وبعثه رسول الله ﷺ، حين أراد الخروج إلى تبوك إلى بني ليث يستنفرهم لغزو عدوهم، وقد روى أبو واقد عن رسول الله ﷺ أحاديث، وروى عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وبقى زمانًا، ثم خرج إلى مكة فجاور بها، وقال في مرضه الذي مات فيه بمكة: إن رسول الله ﷺ كان أخف الناس صلاة على الناس، وأدومه على نفسه، وسُئل أصليت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف؟ قال: نعم. ثم وصف كيف صلى، مات أبو واقد سنة ثمان وستين وهو ابن خمس وثمانين سنة، ودفن بمكة في مقبرة المهاجرين. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٢١/٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب العلم - باب من قعد حيث ينتهي به المجلس (٣٦/١ح٦٦).

﴿ ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

وفي الحديث من الفوائد " أَن من جلس إِلى حلقة فيها علم أَو ذكر؛ أَنه في كنف الله وفي إِيوائه، وهو ممن تضع له الملائكة أَجنحتها، كما يجب على العالم أَن يُؤوي من جلس إِليه متعلمًا لقوله: "فَآوَاهُ اللَّهُ"، وفيه من الفقه أن من قصد العلم، ومجالسه، فاستحيا ممن قصده، ولم يمنعه الحياء من التعلم، ومجالسة العلماء؛ أَن الله يستحى منه فلا يُعذبه جزاء استحيائه، وقد قالت عائشة: (نعم النساء نساء الأَنصار لم يمنعهن الحياء من التفقه في الدين)[(١)]؛ فالحياء المذموم في العلم هو الذي يبعث على ترك التعلم، وفيه - أَيضًا - أَن من قصد العلم ومجالِسه، ثم أَعرض عنها، فإن الله يُعرض عنه، ومن أَعرض الله عنه فقد تعرَّض لسخطه، أَلا ترى قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾ [الأعراف: ١٧٥]، وهذا انسلخ من إِيواء الله بإِعراضه عنه" .[(٢)]

كما أَن في الحديث "من معاني السلام أَن القادم على القوم والآتي إِليهم يبدؤهم بالسلام، كما يصنع المار والماشي على القاعد، والراكب على الماشي؛ أَلا ترى إِلى قوله: (فَلَمَّا وَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَلَّمَا)[(٣)]، ولم يقل رد السلام - في الحديث - اكتفاءً بمعرفة الناس بذلك، وفي الحديث معانٍ من آداب مجالسة العالم والتحلُّق إِليه، والتخطي في حلقته إِلى فرجة إِن كانت فيها، أَو الجلوس حيث انتهى بالطلب المجلس، ومعنى استحياء الله من عبده المطيع مجازاته عن جميل فعله برحمته له" .[(٤)]

كما يتجلى حرص النبي ﷺ على نفع أُمته وإِرادة الخير لهم؛ سواءً كان ذلك في أَمر دينهم أَو دنياهم، وقد وصفه الله عز وجل بذلك في كتابه في أَبلغَ وصف .

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب العلم - باب الحياء في العلم (٣٨/١).
(٢) شرح صحيح البخاري: لابن بطال (١٤٩/١).
(٣) إِشارة إِلى رواية أُخرى عند الترمذي (٧٣/٥ح٢٧٢٤).
(٤) الاستذكار: ابن عبد البر (٤٦٨/٨).

علاقة الحديث بالإيمان بالله عز وجل :

إن الإيمان بالله عز وجل يحمل صاحبه على كل وصفٍ وخلقٍ حسن، ومن ذلك صفة الحياء؛ حيث أن الحياء من صفات عباد الله المؤمنين، والحياء والإيمان متلازمان، وقد ورد في الحديث عن ابْن عمر رَضِي الله عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: " الْحيَاءُ وَالْإِيمَان قُرنَاء جَمِيعًا فَإِذا رُفِع أَحدُهُمَا رُفِعَ الآخر" . (١)

كما الحياء خصلةٌ من خِصال الإيمان؛ حيث ورد من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، عن النبي ﷺ قَالَ: (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَان) . (٢)

"وفي هذا الحديث بيان أَن الإيمان الشرعي اسم لمعنى، ذي شعب وأَجزاء، له أَعلى وأَدنى، فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع شعبها وتستوفي جملة أجزائها؛ كالصلاة الشرعية لها شعب وأَجزاء، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع أَجزائها وتستوفيها، ويدل على ذلك قوله: (وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَان) فأَخبر أَن الحياء إِحدى تلك الشعب .

ومعنى قوله: (وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَان) أَن الحياء يقطع صاحبه عن المعاصي ويحجزه عنها، فصار بذلك من الإيمان إِذ الإيمان بمجموعه ينقسم إِلى ائتمار لما أَمر الله به، وانتهاء عما نهى عنه" . (٣)

ووجه الشبه بين الإيمان والحياء "أَن الحياء يبعث على طاعة الله ويمنع من ارتكاب المعاصي، كما يمنع الإيمان، وإِن كان الحياء غريزةً فالإيمان فعل المؤمن، فاشتبها من هذه الجهة" . (٤)

وبهذا تتبين العلاقة بين الإيمان والحياء، فالإيمان يدل على كل فضيلة، والنفاق يسوق صاحبه إِلى كل رذيلةٍ والعياذ بالله .

(١) رواه الحاكم: كتاب الإيمان (٢٦٩/٣)، وقال صحيح على شرط الشيخين.
(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان - باب أُمور الإيمان (١٢/١ح٩).
(٣) معالم السنن: الخطابي (٣١٢/٤).
(٤) شرح صحيح البخاري: لابن بطال (٦١/١).

الحديث السادس

ومن أحاديث الدعوة إلى الله تعالى المتعلقة بمقصد الأخلاق، وعلاقتها بالإيمان بالله عز وجل؛ **ما ورد عن** جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ لَقَدْ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا" وَقَالَ بِيَدَيْهِ جَمِيعًا، فَقُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ، فَقَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بَعْدَهُ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا، فَنَادَى مَنْ كَانَتْ لَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عِدَةٌ(١) أَوْ دَيْنٌ، فَلْيَأْتِ، فَقُمْتُ، فَقُلْتُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا"، فَحَثَى(٢) أَبُو بَكْرٍ مَرَّةً، ثُمَّ قَالَ لِي: عُدَّهَا، فَعَدَدْتُهَا، فَإِذَا هِيَ خَمْسُ مِائَةٍ، فَقَالَ: خُذْ مِثْلَيْهَا" .** (٣)

يدل الحديث الشريف على ما كان عليه النبي ﷺ مع الناس من خُلِق رفيع، وذلك بتلمُّس حاجاتهم، وقضاء شؤونهم، والوفاء بما وعدهم؛ وهذه الخصال الفاضلة والسجايا الحميدة تبعث على الطاعة والانقياد والمحبة وقبول النصيحة، وطلب الحق والاهتداء إليه، وردِّ الباطل والتخلي عنه، ومن هنا فإن على الداعية إلى الله تعالى أن يتمثلَ تلك الخلال النبوية والصفات الدعوية، والتي من شأنها ترك الأثر لدى المدعوين، وذلك بقبول الدعوة والتزام أوامر الشرع المطهر، واجتناب نواهيه، وإذا تقرر ذلك فقد حصل مقصود الدعوة وتحقق مرادها .

وقد كان النبي ﷺ يتألف قلوب الناس ببذل المال لهم وإغداقه عليهم؛ رجاءَ دخولهم في الإسلام ومحبتهم لما جاء به من الهدى والنور "فإن الرجل كان يدخل في دين الإسلام رغبةً في كثرة العطاء، فلا يزال يُعطَى حتى ينشرح صدره للإسلام، ويستقرّ فيه، ويتنوَّر بأنواره، حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما فيها، كما صرح بذلك صفوان بن أُمية؛ حيث قال: (وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَا أَعْطَانِي وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ

(١) قوله: (عدة) أي: وعد. ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (٨٧/١٥).

(٢) (الحَثْيَة): ملء الكف. ينظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (١٤٥/١٥)

(٣) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل - باب ما سُئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال لا (٧٥/٧ح٢٣١٤).

النَّاسِ إِلَيَّ)[1] . وهكذا اتفقَ لمعظم المؤلفةِ قلوبهم" . [2]

والنبي ﷺ أكمل الناس خُلُقا، فقد أوفى بما وعد؛ "ولما كان هذا من مكارم الأَخلاق، وكان رسول الله ﷺ أَولى الناس بها وأَندرهم إِليها، وكان أَبو بكر رضي الله عنه خليفته أَدى ذلك عنه، وقام مقامه من الموضع الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيمه منه، ولذلك لم يسأل أَبو بكر الصديق رضي الله عنه البيّنة على ما ادعاه جابر بن عبد الله على رسول الله ﷺ من العِدَّة؛ لأَن تلك العدة لم تكن شيئًا أَداه جابر في ذمة رسول الله؛ وإِنما ادعى شيئًا في بيت المال، وإِنما ذلك موكول إِلى اجتهاد الإِمام" . [3]

وما قام به الصديق رضي الله عنه وما فعله تجاه جابر رضي الله عنه " كان تطوعًا ليس بلازمٍ لرسول الله ﷺ، ولا قضى أَبو بكر رضي الله عنه شيئًا منها[4]؛ بل فعلَه اقتداء برسول الله ﷺ، ومتابعة لفعله؛ إِذ كان أَوفى الناس بعده، وأَصدقهم بوعده" . [5]

ومما دلَّ عليه الحديث من خُلُق " سخاوة نفس النبي صلى الله عليه وسلم بالمال، وأَنه ما كان لنفسه به تعلُّق، فإنه كان لا يَعدُّه بعدد، ولا يُقدره بمقدار، لا عند أَخذه، ولا عند بذله، وهذا منه ﷺ كان وعدًا لجابر رضي الله عنه، وكان المعلوم من خلُقه الوفاء بالوعد، ولذلك نفذه له أَبو بكر رضي الله عنه بعد موت النبي ﷺ . وهكذا كان خلق أَبي بكر، وخلق الخلفاء الأَربعة - رضي الله عنهم -، أَلا ترى أَبا بكر كيف نفَّذ عِدَّة رسول الله ﷺ لجابر بقول جابر، ثم إِنه دفعها له على نحو ما قال من غير تقدير ؟ ! وأَخبارهم في ذلك معروفة، وأَحوالهم

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل - باب ما سُئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال لا (٧/٧٥ح٢٣١٣).
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: القرطبي (٦/١٠٦).
(٣) الاستذكار: ابن عبد البر (٥/١٦٠).
(٤) وما ورد في الحديث الصحيح من كون النبي ﷺ مات ودرعه مرهونة فإن "هذا الدين الذي كان عليه يُقضى من الرهن الذي رهنه، ولم يُعرف عن النبي ﷺ دينٌ آخر". منهاج السنة: ابن تيمية (٧/٣٥٨).
(٥) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح: شمس الدين البرماوي (٨/١٠٢).

موصوفة" . [١]

والخلفاء رضي الله عنهم ساروا على ما سنَّه لهم المصطفى ﷺ فالتزموا أَمره ومضوا على منهجه، واقتدوا بسنته وأَخذوا بها من غير تبديل ولا تغيير، وأَحسنوا خلافته من بعده، وأَقاموا سنته، وأَوفوا بوعده؛ فجزاهم الله عن الأُمة خير الجزاء وأَوفاه .

علاقة الحديث بالإيمان بالله عز وجل :

إن الوفاء بالوعود من خلُق أَهل الإيمان وشمائلهم، وقد وصف الله عباده المؤمنين بالفلاح؛ حيث كان من شأنهم مراعاة العهود والوفاء بها، ومن ذلك قول الحق جل وعلا: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: ١]، إلى أَن قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨﴾ [المؤمنون: ٨] .

وفي هذ السياق يقول ابن عبد البر رحمه الله تعالى: " وفي هذا - الحديث - من الفقه أَن العِدة واجبٌ الوفاء بها وجوب سنَّة، وذلك من أَخلاق أَهل الإيمان، وقد أَثنى الله عز وجل على من صدق وعده، ووفىَّ بنذره وكفى بهذا مدحًا وبما خالفه ذما" . [٢]

وقد عاهد الصحابة رضي الله عنهم ربهم، وصدقوا بما عاهدوا الله به، وأَوفوا بعهدهم فامتدحهم ربهم - جل شأنه - بقوله: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ۝٢٣ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٢٣-٢٤] .

وهذا هو الإيمان إِذا رسخ في القلب ظهر أَثره على الجوارح، فالتزمت بالفضائل وجميل المحامد، واجتنبت الرذائلَ والقبائح .

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: القرطبي (١٠٧/٦).
(٢) الاستذكار: ابن عبد البر (١٦٠/٥).

الحديث السابع

عن أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرَ بْنَ حِزَامٍ[1]، أَوْ حَرَامٍ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ، وَكَانَ دَمِيمًا، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ لَا يُبْصِرُهُ فَقَالَ: " أَرْسِلْنِي، مَنْ هَذَا ؟ "، فَالْتَفَتَ، فَعَرَفَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْزَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: " مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ ؟ "، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذًا وَاللهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " لَكِنْ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ "، أَوْ قَالَ: " لَكِنْ عِنْدَ اللهِ أَنْتَ غَالٍ ". [2]

في الحديث دلالات دعوية وأخلاقٌ نبوية؛ ألا وهي حسُن معشره صلى الله عليه وسلم وكمال تواضعه، وجمال عنايته ولطفه بأصحابه، ومؤانستهم وإدخال السرور عليهم؛ إذ كان من شأن الرجل أن وجده النبي ﷺ يبيع في السوق، وكان الرجل ليس بحسن الصورة والمنظر، ولكن النبي ﷺ كان يحبه، ولم يكن الرجل يعلم به حين أتى، فقام النبي ﷺ فاحتضنه من خلفه حيث لا يبصره، فكان النبي ﷺ يقول: "مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ ؟ "، وذلك على سبيل المداعبة والملاطفة، فلما علم به الرجل وأبصره عرف أنه النبي ﷺ فكان يحاول إلصاق ظهره بصدر النبي ﷺ؛ رجاءَ ملامسة بدنه الطاهر، وهو يقول: يا رسول الله ستجدني رخيصًا لا قيمة لي، ولن تجد من يشتري، فردَّ عليه النبي ﷺ ببشارة عظيمة، وهي قوله ﷺ : " لَكِنْ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ "؛ بل شأنك عند الله عظيم، ومنزلتك لديه عالية غالية، وفي الحديث

(١) زاهر بن حرام الأشجعي، شهد بدرا، كان حجازيا، يسكن البادية في حياة رسول الله ﷺ، فكان لا يأتي رسول الله ﷺ إذا أتاه إلا بطرفة يهديها إليه. فقال رسول الله ﷺ: إن لكل حاضرة بادية، وبادية آل محمد زاهر بن حرام، ثم انتقل زاهر ابن حرام إلى الكوفة، ولم تذكر وفاته. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٥٠٩/٢).

(٢) رواه البيهقي: كتاب الشهادات - باب المزاح لا ترد به الشهادة (٤١٩/١٠ح٢١١٧٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح. (٣٦٩/٩ح١٥٩٧٩).

من جميل الدلالات ولطيف الإشارات ما يجعل الناظر يتعجب لهذا اللطفِ والتواضعِ والرحمةِ من النبي ﷺ، وجميلٌ أَن يكون هذا محلُ نظرِ الدعاة؛ للوقوف على كيفية تعامله ﷺ مع الناس، وتطبيق ذلك واقعًا عمليًا في دعوتهم وتعليمهم وتوعيتهم وإرشادهم لهم .

ولا شك أَن هذه الأَخلاق سببٌ لإقبال الناس وقبولهم للدعوة، والأَخذ بها وتطبيقها ومحبة أَهلها، وعلى النقيض من ذلك فإن ضِد هذه الأَخلاق سببٌ في النفور والإعراض والصدّ والجفاء، وقد رسم الله - جل شأنه - لنبيه صلى الله عليه وسلم وأَوضح له في كتابه الكريم ذلك المنهج الأَخلاقي في دعوة الناس والتعامل معهم؛ حيث يقول عز وجل : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

"واللين هو مُستراح المؤمن به تهدأُ نفسه ويطمئن قلبه وتجد أَركانه راحة ذلك، وحدَّته وشدته وغضبه تعب بدنه وعذاب نفسه ونصب قلبه؛ وإنما يلين قلبه بهدوء نفسه، وإنما تهدأُ نفسه بموت شهواتها، ومن غلُظ قلبه وفظَّ واشتد فمن القسوة، وإنما يقسو قلبه من الغفلة عن الله تعالى، ويلين القلب لمَّا يُرطب بذكر الله تعالى، والفظاظة وغلظ القلب تُفرق المجموع وتبدّد المؤتلِف، واللطافة ورقة القلب تجمع المتفرّق وتؤلف المتبدد" . (١)

ومن رحمة الله عز وجل ما منَّ به من رحمة نبيه صلى الله عليه وسلم بأُمته؛ حيث يقول ابن كثير رحمه الله تعالى في مساق الآية السالفة: " يقول تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ، ممتنًا عليه، وعلى المؤمنين فيما أَلان به قلبه على أُمته، المتبعين لأَمره، التاركين لزجره، وأَطاب لهم لفظه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ

(١) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ: محمد بن علي الترمذي (٢١٥/١).

لَهُمْ ﴾ أَي: أَيُ شيءٍ جعلك لهم ليّنا لولا رحمة الله بك وبهم" . [1]

وعليه فإن المنهج الصحيح لنيل المراد في الدعوة إلى الله وتعليم الناس، وتحصيل المقصود من ذلك، لا يكون إلا بسلوك منهج النبي ﷺ والتحلي بأَخلاقه وطرائق تعامله مع الناس .

علاقة الحديث بالإيمان بالله عز وجل :

إن قيمة العباد عند ربهم عز وجل تتفاضل بقدر رسوخ الإيمان في قلوبهم، والصور والهيئات ليست محطُّ نظر الرحمن عز وجل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ" . [2]

"ونظر الله هنا: هو رؤية الله لذلك؛ ليجازي عليه ويثيب، ونظر الله ورؤيته محيطة بكل شيء، وإنما المراد من ذلك بالتخصيص ما يُثيب عليه ويجازي من ذلك، فكل هذا إشارة إلى النيات والمقاصد، وأَن المجازي عليه ما كان للقلب فيه عمل من قصد ونية وذكر" . [3]

"وإن الاعتناء بإصلاح القلب وبصفاته مقدَّم على الأَعمال بالجوارح؛ لتخصيص القلب بالذكر، مقدمًا على الأَعمال، وإنما كان ذلك لأَن أَعمال القلوب هي المصححة للأَعمال؛ إذ لا يصح عمل شرعي إلا من مؤمنٍ عالمٍ بمن كلفه، مخلص له فيما يعمله، ثم لا يكمل ذلك إلا بمراقبة الحق فيه" . [4]

ومن هنا فإن على المسلم أَلا يفخر بما أَعطاه الله من مالٍ أَو جمالٍ أَو منصبٍ أَو جاه، أَو ولد أَو دار أَو نحو ذلك من ملذات الدنيا ومتاعها الزائل، فإن مدار قُرب العبد وبُعده وارتفاعه وانخفاضه، هو حقيقة تقواه وإيمانه بربه؛ فإنما يحصل التمايز بذلك، وما سواه فلا يعدو أَن يكون سرابًا زائلا .

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (١٤٨/٢).
(٢) رواه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة - باب تحريم ظلم المسلم (١١/٨ح٢٥٦٤).
(٣) إكمال المعْلم بفوائد مسلم: القاضي عياض (٣٢/٨).
(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: القرطبي (٥٣٨/٦).

الحديث الثامن

ومن أَحاديث الدعوة إلى الله تعالى المتعلقة بمقصد الأَخلاق، وعلاقتها بالإيمان بالله عز وجل؛ **ما ورد عن** عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ ؟ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ . قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ[(١)]، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ» . [(٢)]

لقد استعمل النبي ﷺ في الحديث طريقةً من طرائق العرض في الخطاب، أَلا وهي الاستفهام المتضمن للخبر، وذلك أَدعى إِلى التوجُّه والانتباه، والتشوف إِلى سماع ما بعد الاستفهام من خبر، وجدير بالداعية أَن يتأمل ذلك ويقف عند، ويتجلى ذلك في قوله ﷺ : (إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ ؟)، "وهذا استفهام يشوبه إِخبار منه ﷺ عن أَمرٍ قبل وقوعه، وقد وقع على نحو ما أَخبر عنه، فكان ذلك من أَدلة صحة نبوته ورسالته ﷺ، فكأنه قال: على أَي حال تكونون ؟ أَتبقون على ما أَنتم عليه ؟ أَو تتغير بكم الحال ؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أَمرنا الله تعالى . أَي: نقول قولًا مثل الذي أَمرنا الله، وكان هذا منه إِشارة إِلى قول الله تعالى: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وذلك أَنه فهم أَن رسول الله ﷺ خاف عليهم الفتنة من بسط الدنيا عليهم، فأَجابه بذلك، فكأنه قال: نستكفي الفتن والمحن بالله، ونقول كما أَمرنا، وهذا إِخبار منهم عما يقتضيه حالهم في ذلك الوقت، فأَخبرهم النبي ﷺ بأنهم لا يبقون على تلك الحال، وأَنها تتغير بهم" . [(٣)]

---

(١) "التدابر: كناية عن الاختلاف والافتراق، وأصله: أن يولي كل واحد ظهره لأخيه، فإذا أعطاه ظهره فقد فارقه وخالفه، وبضده: إذا أقبل عليه وأعطاه وجهه". جامع الأُصول: ابن الأثير (١٠/٤٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقاق (٨/٢١٢ح٢٩٦٢).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: القرطبي (٧/١١٤).

وقد علق الإمام النووي رحمه الله تعالى على قوله صلى الله عليه وسلم : (تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ[1]، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ)، وذلك بقوله: "التنافس إلى الشيء المسابقة إليه وكراهة أخذ غيرك إياه، وهو أول درجات الحسد، وأما الحسد فهو تمني زوال النعمة عن صاحبها، والتدابر التقاطع وقد بقي مع التدابر شيء من المودة أو لا يكون مودةً ولا بغض، وأما التباغض فهو بعد هذا، ولهذا رُتبت في الحديث، ثم ينطلقون في مساكين المهاجرين، أي: ضعفائهم فيجعلون بعضهم أمراءَ على بعض" . [2]

ويجلي الحديث حرص النبي ﷺ على أُمته من التنافس على مُتَع الحياة، وأن ذلك يُفضي إلى قبيح الطباع ومساوئ الأخلاق، ولما لتلك الصفات من أثرٍ على فساد الديانة؛ حيث يخبر النبي ﷺ من حديث الزُّبَيْرَ بْنَ العَوَّامِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، هِيَ الحَالِقَةُ[3]، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ " . [4]

وفي سياق الحديث يبين ابن تيمية رحمه الله تعالى بقوله: "والداء هو المرض، وهو تألُّم القلبِ والفساد فيه، وقرن الحسد بالبغضاء؛ لأن الحاسد يكره أولًا فضل الله على ذلك الغير؛ ثم ينتقل إلى بُغضه؛ فإن بُغض اللازم يقتضي بُغض الملزوم فإن نعمة الله إذا كانت لازمةً وهو يُحب زوالها وهي لا تزول إلا بزواله أبغضه وأحب عدمه، والحسد يوجب البغي كما أخبر الله تعالى عمن قبلنا: أنهم اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فلم يكن اختلافهم لعدم العلم؛ بل علموا الحق،

(١) "التدابر: كناية عن الاختلاف والافتراق، وأصله: أن يولي كل واحد ظهره لأخيه، فإذا أعطاه ظهره فقد فارقه وخالفه، وبضده: إذا أقبل عليه وأعطاه وجهه". جامع الأُصول: ابن الأثير (١٠/٤٠).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٨/٩٧).

(٣) "الحالقة: الخصلة التي من شأنها أن تحلق: أي تُهلك وتستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر. وقيل هي قطيعة الرحم والتظالم". النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير (١/٤٢٨).

(٤) رواه الترمذي: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ - باب (٤/٦٦٤ح٢٥١٠)، وقال الألباني حديث حسن. ينظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/٢٣ح٢٦٩٣).

ولكن بغى بعضهم على بعض كما يبغي الحاسد على المحسود" . [١]

ولمَّا كان أَثر هذه الأَخلاق على الأُمة خطيرٌ وعظيم، جاء النهي مشددًا من الوقوع في ذلك، ومحذرًا منه غاية الحذر، ويظهر ذلك من تظافر الأَدلة والآثار في النهي والتنديد والتحذير.

علاقة الحديث بالإيمان بالله عز وجل :

إن من لوازم الإيمان بالله عز وجل أَن يكون أَهل الإيمان إِخوةً متحابين متراحمين مترابطين، يتعاونون على كل برٍ وفضيلة، ويتناهون عن كل إِثم ورذيلة؛ لتستقيم بذلك أُخوتهم، ويتحقق وصفهم بها، كما سماهم الله سبحانه وتعالى بذلك في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠] .

وهذه الصفات التي ذكرها النبي ﷺ في الحديث، وهي التباغض والتدابر والتحاسد، هي من الصفات الممقوتة والقبيحة؛ حيث تتنافى مع صفات أَهل الإيمان الذين وصفهم الله - جل شأنه - في كتابه بأَجمل الصفات وأَحسنها وأَكملها، وأَن هذه الصفات عليها مدار الدخول في عفو الله ورحمته؛ حيث يقول سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١] .

كما أَن الحسد وصف مذموم، وهو مما يتنافى مع كمال الإِيمان وتحقيقه، وفي ذلك يقول النبي ﷺ من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ الْإِيمَانُ وَالْحَسَدُ» . [٢]

(١) أمراض القلب وشفاؤها: ابن تيمية ص (٢٢).

(٢) رواه النسائي: كتاب الجهاد - فضل من عمل في سبيل الله على قدمه (٢٩٩/٤ح٤٣٦٠)، وقال الألباني حديثٌ حسن. ينظر صحيح سنن النسائي (٦٥٢/٢).

"والحسد مذموم وصاحبه مغموم، وقال الحسن[1]: ما رأَيت ظالما أَشبه بمظلوم من حاسد، نفَس دائم، وحُزن لازم، وعَبرة لا تنفد . وقال عبد الله ابن مسعود: لا تعادوا نعم الله . قيل له: ومن يعادي نعم الله ؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله" . [2]

وبهذا يتبين ضرر هذه الصفات المقيتة والأَخلاق المشينة على الإيمان بالله عز وجل، وأَنها منافية لكماله وتحقيق مقتضياته .

الحديث التاسع

ومن أَحاديث الدعوة إلى الله تعالى المتعلقة بمقصد الأَخلاق، وعلاقتها بالإيمان بالله عز وجل**؛ ما ورد عن أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: «مَدَحَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: فَقَالَ: وَيْحَكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ[3]، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ مِرَارًا إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا صَاحِبَهُ لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسَبُ فُلَانًا وَاللهُ حَسِيبُهُ[4] وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا، أَحْسَبُهُ إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَاكَ كَذَا وَكَذَا» . [5]**

إن مما يؤخذ من الحديث ما قد يتعرضُ له الداعية من كثرة ثناء الناس عليه وكثرة مدحهم له؛ مما قد يجعل البعض يضعف أَمام ذلك فيُصاب بالعجب والزهوّ والتعاظم، وذلك من جرَّاء ما رأى من الناس من مدحٍ وإِطراء، ويكون في ذلك للشيطان عليه مدخلًا وسبيلا، وينسى أَن ما يقوم به من دعوة الخلق وتعليمهم وتوعيتهم وإِرشادهم ودلالتهم على الخير هو محضُ فضل الله تعالى ومنَّته عليه، وذلك بأن سخَّره للقيام بهذه الرسالة التي شرَّفهُ اللهُ بها؛ إِذ هي رسالة الأَنبياء والرسل عليهم السلام .

---

(١) وقد تفاوت النقل، فمن قائل إنها عن أحد الأعراب، وقائل عن الأصمعي، وقيل عن الخليل بن أحمد، وقيل عن عمر بن عبد العزيز وغيرهم.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٢٥١/٥).

(٣) " أي: أهلكته بالإطراء والمدح الزائد، وتعظيمك شأنه عند نفسه، فإنه يعجب بنفسه، فيهلك، كأنك قد قطعت عنقه ". جامع الأُصول: ابن الأثير (٥١/١١).

(٤) يعني أن الله يحاسبه على أعماله، ويعاقبه على ذنوبه إن شاء. شرح السنة للبغوي (١٥٠/١٣).

(٥) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق - باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط (٢٢٧/٨ح٣٠٠٠).

وفي ذات السياق يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى " وكثيرًا ما يقرن الناس بين الرياء والعجب؛ فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس، وهذا حال المستكبر، فالمرائي لا يحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ والمعجب لا يحقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فمن حقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ خرج عن الرياء، ومن حقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ خرج عن الإعجاب" .[١]

"ولا يَقُل جزمًا: إن فلانًا رجلٌ صالح، بل لِيقل: أحسبه؛ أي: أظنه صالحا، وإنما نهاهم عن أن يمدحوا أحدًا كيلا يغترَّ الممدوح فيصير متكبرا، وحينئذٍ يرى نفسه أفضل من غيره، والله تعالى يغضب على من هذه صفته .

وحساب كل شخص إلى الله تعالى يعلم كونه صالحًا أو غيره، فإذا كان الله عالمًا بجميع الأشياء، فلا يحتاج إلى أن يزكي عنده أحدٌ أحدا" .[٢]

وإن العبد المؤمن يستحضر دائمًا فضل الله ومنته عليه، ويجعل ذلك نصب عينيه، وما حصل له من توفيق وفضلٍ فهو منَّة الله عليه ومحض فضله، وأن ذلك بحول الله وتوفيقه، والعبد ضعيفٌ لا حول له ولا قوة، كما أن عليه أن يستشعر تقصيره وخطأه، فيحمله ذلك على الإنابة والاستغفار لما يحصل منه من إسراف وتقصير، وينسب الفضل والمنَّة لله عز وجل دائما، فهو أهلُ ذلك، قال - جل شأنه -: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣] .

وحيال قوله ﷺ : (وَيْحَكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ) يقول القرطبي رحمه الله تعالى: " كل ذلك بمعنى أهلكتموه . . . ويعني بذلك كله أن الممدوح إذا أكثر عليه من ذلك، يخاف عليه منه العجب بنفسه، والكبر على غيره، فيهلك دينه بهاتين الكبيرتين، فإذًا؛ المدح مظنة الهلاك الديني، فيُحرم، لكن هذه المظنة لا تتحقق إلا عند الإكثار منه، والإطراء به، وأما مع الندرة والقلة؛ فلا يكون مظِنة، فيجوز ذلك

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية (٢٧٧/١٠).
(٢) المفاتيح في شرح المصابيح: المُظهري (١٧٦/٥).

إذا كان حقًا في نفسه، ولم يقصد به الإطراء، وأمن على الممدوح الاغترار به . وعلى هذا يُحمل ما وقع للصحابة - رضي الله عنهم - من مدح بعضهم لبعض مشافهةً ومكاتبة . وقد مُدح النبي ﷺ مشافهةً نظمًا ونثرا، ومَدح هو أيضًا جماعة من أعيان أصحابه مشافهة، لكن ذلك كله إنما جاز لمَّا صحت المقاصد، وأمِنت الآفات" . (١)

وحول الجمع بين الأدلة في النهي عن المدح، والأدلة التي جاءت بمعنى المدح، يقول النووي رحمه الله تعالى: "في الحديث النهي عن المدح، وقد جاءت أحاديث كثيرة في الصحيحين بالمدح في الوجه، قال العلماء: وطريق الجمع بينها؛ أن النهي محمولٌ على المجازفة في المدح والزيادة في الأوصاف أو على من يخاف عليه فتنةً من إعجابٍ ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لا يخاف عليه ذلك؛ لكمال تقواه ورسوخ عقله ومعرفته فلا نهيَ في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة؛ بل إن كان يحصل بذلك مصلحةً كنشطهِ للخير، والازدياد منه، أو الدوام عليه، أو الاقتداء به كان مستحبا" . (٢)

ولذا كان لزامًا على المسلم حال شروعه في العبادات، وفي كلِ ما من شأنه النفع وإرادة الخير، أن يعلم أن ذلك من تيسير الله جل جلاله وتوفيقه له، واصطفائه على غيره من البشر.

علاقة الحديث بالإيمان بالله عز وجل :

إن الإيمان بالله عز وجل إيمانًا صادقًا؛ هو الذي يحمل صاحبه على نسبة الفضل إلى المنعم سبحانه، كما يمنعه الإيمان من الاغترار بعمله وتزين الشيطان ذلك له، وإذا عَلِم ذلك حقيقةً؛ تواضع وشكر الله على ما أسدى له من النعم، وأدرك عِظَم فقره إلى خالقه عز وجل وعظيم نِعَمه سبحانه على عباده، كما قال - جل شأنه -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥] .

وقد عارض القرآن الكريم كلام الأعراب الذين نسبوا الفضل في هدايتهم

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: القرطبي (٦٢٧/٦).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٢٦/١٨).

للإسلام إلى أنفسهم؛ بل فضل ذلك ومردُّه إلى الله عز وجل وحده، وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧] .

وفي بيان هذه الآية يقول الطبري رحمه الله تعالى: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يمنّ عليك هؤلاء الأعراب يا محمد أن أسلموا (قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ) يقول: بل الله يمنُّ عليكم أيها القوم أن وفقكم للإيمان به وبرسوله إن كنتم صادقين في قولكم آمنا، فإن الله هو الذي منّ عليكم بأن هداكم له، فلا تمنّوا عليّ بإسلامكم .

وذُكر أن هؤلاء الأعراب امتنوا على رسول الله ﷺ، فقالوا: آمنا من غير قتال، ولم نقاتلك كما قاتلك غيرنا، فأنزل الله فيهم هذه الآيات" .[(١)]

وعليه فإن الله عز وجل هو الواهب لعباده المؤمنين، والمتفضل عليهم بما اختصهم به، فقد حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، كما قال - جل ذكره - في كتابه المبين: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ﴾ [الحجرات: ٧] .

الحديث العاشر

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ «أَنَّ النَّاسَ سَأَلُوا نَبِيَّ اللهِ ﷺ حَتَّى أَحْفَوْهُ بِالْمَسْأَلَةِ[(٢)]، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: سَلُونِي، لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ . فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ الْقَوْمُ أَرَمُّوا، وَرَهِبُوا[(٣)] أَنْ يَكُونَ بَيْنَ يَدَيْ أَمْرٍ قَدْ حَضَرَ . قَالَ أَنَسٌ: فَجَعَلْتُ أَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ لَافٌّ رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ يَبْكِي، فَأَنْشَأَ رَجُلٌ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: القرطبي (٣٢٠/٢٢).
(٢) أحفوه بالمسألة، أي: أكثروا عليه والحُوا. ينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض (٢٠٨/١).
(٣) "ارموا ورهبوا" أي: سكتوا وخافوا. ينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢٦٧/٢).

مِنَ الْمَسْجِدِ كَانَ يُلَاحَى[1] فَيُدْعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَنْ أَبِي ؟ قَالَ: أَبُوكَ حُذَافَةُ، ثُمَّ أَنْشَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا عَائِذًا بِاللهِ مِنْ سُوءِ الْفِتَنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ قَطُّ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، إِنِّي صُوِّرَتْ لِي الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَرَأَيْتُهُمَا دُونَ هَذَا الْحَائِطِ" .** [2]

في الحديث من المقاصد الدعوية؛ أن على الداعية أن يُبين للناس ما يحتاجون إليه مما يستقيم به دينهم، وما أُمِرَ في الشرع بيانه وإيضاحه، دون الحاجة إلى الاسترسال في الدقائق التي من شأنها الدخول في المغيَّبات التي لم يتعبدنا الشرع بمعرفتها، وإن الدخول في مثل هذه القضايا يُشوش على المدعوين، ويزعزع مبدأ الانقياد والتسليم للشرع وأحكامه، كما يجعل للشيطان مدخلًا للتشكيك والارتياب، وذلك من خلال التفكير وبعث التساؤلات التي تُفضي إلى السؤال عن كُنْه الذات العليَّة .

"والتفكُّر إنما يكون في آيات الله تعالى ومعاني أسمائه وصفاته، أما في حقيقة الصفات أو في حقيقة الذات فلا، وذلك لأن التفكر في ذات الله تعالى يؤدي إلى غياهب من الظلم، ويؤدي أحيانًا إلى التشكيك، وأحيانا إلى التعطيل، وهذا هو الذي ضر أهل التعطيل - أعني: التفكر في الذات -؛ لأن الذات لا يمكن الإحاطة بها، وما لا يمكن الإحاطة به فالتفكير فيه مضيعة للوقت، وهو في جانب الربوبية خطيرٌ على عقيدة الإنسان، فالمؤمن يفكر في آيات الله تعالى، وفي أسمائه، وفي صفاته من حيث المعنى، أما في الذات العليَّة فلا يستطيع أن يفكر ولا ماذا يتصور؛ ولهذا يجب الإعراض عن هذه المسألة" . [3]

ويدل الحديث على "أنه ﷺ نهاهم عن إكثار السؤال والابتداء بالسؤال عما لا يقع، وكره ذلك لمعانٍ منها: أنه ربما كان سببًا لتحريم شيء على المسلمين فيلحقهم به المشقة، وقد بين هذا بقوله ﷺ في الحديث: (إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ

(١) أي: يُسابّ، والملاحاة الخصومة والسباب. ينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض (٣٥٦/١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل - باب توقيره ﷺ (٩٤/٧ح٢٣٥٩).

(٣) تفسير القرآن الكريم «سورة الزمر»: ابن عثيمين ص (٣٠٨) بتصرف يسير.

شَيْءٍ لَمْ يُحرَّم، فحُرِّم مِنْ أَجْلِ مسألته)[١] .

ومنها: أنه ربما كان في الجواب ما يكرهه السائل ويسوؤه، وفي الحديث أن قوله ﷺ سلوني إنما كان غضبًا، وكان اختياره ﷺ ترك تلك المسائل لكن وافقهم في جوابها؛ لأنه لا يمكن رد السؤال، ولما رآه من حرصهم عليها، وأما بروك عمر رضي الله عنه وقوله؛ فإنما فعله أدبًا وإكرامًا لرسول الله ﷺ وشفقةً على المسلمين؛ لئلا يؤذوا النبي ﷺ فيهلكوا . ومعنى كلامه رضينا بما عندنا من كتاب الله تعالى وسنة نبينا محمد ﷺ واكتفينا به عن السؤال، ففيه أبلغ كفاية، وفي قوله: (أَبُوكَ حُذَافَةُ) وكان سبب سؤاله أن بعض الناس كان يطعن في نسبه على عادة الجاهلية من الطعن في الأنساب" .[٢]

وقد "عزَّ على المسلمين ما رأوا من الإلحاح على النبي صلى الله عليه وسلم والتعنيت له، وتوقعوا عقوبة الله أن تحلَّ بهم؛ ولذلك بكوا، فمثَّل الله له الجنة والنار، وأراه كل ما يسأل عنه في ذلك الوقت، فقال: (لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ)، وفي هذا الحديث فضلُ عمر بن الخطاب وفهمه، ومكانه من الحماية عن الدين والذّب عن رسول الله إذ قال: (رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا)، ومنع تعنيته والإلحاح عليه؛ لأن الله تعالى قد أمر بتعزيزه وتوقيره، وألا يُرفع الصوت فوق صوته، واستعاذ بالله من شر الفتن، وكذلك استعاذ النبي بالله من شر الفتن، واستعاذ من فتنة المحيا والممات، وإن كان قد أعاذه الله تعالى من كل فتنة، وعصمه من شرها؛ ليسنَّ ذلك لأُمته، فتستعيذ مما استعاذ منه نبيها ﷺ" .[٣]

كما يؤخذ من الحديث جميل خلُقه ﷺ، ويتجلى ذلك في حرصه وشفقته ورحمته بأُمته، ولمَّا رأى الصحابة كثرة الإلحاح والتعنيت على النبي ﷺ وما كان من حالته التي رأوه عليها؛ خشعت قلوبهم ورقت أفئدتهم وجعلوا يبكون لذلك، ولا غرابة فقد خالط الإيمان شغاف قلوبهم فخافت ووجِلت مما جاء عن الله عز وجل،

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب ما يكره من كثرة السؤال (٦/٢٦٥٨ ح٦٨٥٩).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٥/١١٣ - ١١٤).
(٣) شرح صحيح البخاري: لابن بطال (١٠/٤٢ - ٤٣).

وهكذا قلوب أهل الإيمان، وقد قال الحق سبحانه في محكم كتابه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢] .

علاقة الحديث بالإيمان بالله عز وجل :

تتجلى العلاقة في كون الله عز وجل نهى أهل الإيمان عن كثرة السؤال فيما لا يعني، والاقتصار على ما ينفع "وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث - السالف - هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]" . (١)

كما أن في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحديث: " رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا" دليل كمال الإيمان وثباته ورسوخه، وفي حديث الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا» . (٢)

والمعنى أنه "صح إيمانه، واطمأنت به نفسه، وخامر باطنه؛ لأن رضاه بالله ربا، وبمحمد نبيا وبالإسلام دينا؛ دليلُ ثبوت معرفته، ونفاذ بصيرته بما رضِيَ به من ذلك، ومخالطة بشاشته قلبه، والإنسان إذا رضِيَ أمرًا واستحسنه سهُل عليه أمره، ولم يشق عليه شيء منه، فكذلك المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان، سهُلت عليه طاعات ربه ولذَّت له، ولم يشقّ عليه معاناتها" . (٣)

وفي الانقياد والتسليم بما أمر به الشرع المطهر من أوامر ونواهي؛ تمام الإيمان وكماله "فالرضا بالقضاء الديني الشرعي واجب، وهو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان، فيجب على العبد أن يكون راضيًا به بلا حرج ولا منازعة ولا معارضة ولا اعتراض، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات - باب التعوذ من الفتن (٥/٢٣٤٠ح٦٠٠١).
(٢) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان - باب ذاق طعم الإيمان (١/٤٦ح٣٤).
(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم: القاضي عياض (١/٢٧٠).

يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥] فأقسم تعالى أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله، ويرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه، ويسلموا لحكمه، وهذا حقيقة الرضا بحكمه، فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان، ومتى خالطت القلب بشاشة الإيمان واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين، وحيي بروح الوحي، وتمهدت طبيعته وانقلبت النفس الأمارة مطمئنة راضية وادعة، وتلقى الإسلام بصدر منشرح، فقد رضي كل الرضا بهذا القضاء المحبوب لله ورسوله ﷺ " .[1]

ومن هنا يظهر أثر الإيمان على المؤمنين المنقادين لأمره ونهيه، المستسلمين لحكمه؛ حيث لا ينطبق وصف الإيمان على من لم يرضَ وينقاد ويسلّم للشرع فيما أمر به أو حذر منه .

(١) لوامع الأنوار البهية: السفاريني (٣٦٢/١).

الخاتمة

الحمد الله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فبعد هذا التطواف بين أَحاديث السنة النبوية الشريفة، فقد ظهرت للباحث مجموعة من النتائج على رأسها:

١- إِنَّ الباعث الحقيقي على القيام بواجب الدعوة إِلى الله تعالى؛ هو الإِيمان الصادق واليقين الراسخ.

٢- إِنَّ الدعوة إِلى الله عز وجل بالتوحيد الخالص والعقيدة الصافية؛ هي دعوةٌ إِلى الائتلاف واجتماع الكلمة ووحدة الصف، ونبذ الفرقة والاختلاف.

٣- إِنَّ أَهم أَمرٍ يتصف به الداعية، ويكون مرتكزًا أَساسيًا في تكوين شخصيته، هو الالتزام والتحلي بالمنهج الأَخلاقي النبوي.

٤- إِنَّ عناية الداعية بأَحاديث السنة ومطالعتها ومعرفة مضامينها، وربط ذلك بواقع الدعوة؛ لهو من أَهم ما تُثمر به الدعوة، وتؤتي أُكلها، ويَرسَخ به الإِيمان وتثبُت أَركانه .

٥- إِنَّ من فقه الدعوة أَن يكون الداعية على علمٍ ودراية بفقه الأَولويات.

٦- إِن أَحكم المناهج وأَسلمها في الدعوة إِلى الله تعالى؛ هو المنهج الذي رسمه الله عز وجل لأَنبيائه ورسله في دعوتهم، وقد اختطّ النبي ﷺ لأُمته منهجًا واضحًا يسيرون عليه في الدعوة إِلى الله تعالى، وسار على هذا المنهج سلف الأُمة رضي الله عنهم، ومن ابتغى منهجًا سواه فقد التمس غير الصراط القويم والنهج المستقيم .

٧- إِن الشريعة الإِسلامية اعتنت بالطهارة الظاهرة المحسوسة كما اعتنت بالطهارة المعنوية الباطنة، وهي طهارة القلب من أَدران الشرك ونجسه، والطهارة في أَصلها من صفات أَهل الإِيمان .

٨- إِنَّ على من تولى شأن قومٍ لزمه الرفق بهم، ورعاية مصالحهم، وهدايتهم إِلى مكامن الخير ودلالتهم عليه، والداعية إِلى الله تعالى حقيقٌ بذلك؛ بل من شأنه الحرص عليه والاهتمام به، فقد كان النبي

ﷺ يراعي أَحوال الناس في دعوته، ويحفظ مصالحهم، ويسعى للرفق بهم، وتلك من أَهم ما ينبغي للداعية أَن يتصف به .

٩- إِنَّ تمسك الأُمم والمجتمعات بالقيم والمُثُل والأَخلاق؛ لهو دليل رقيّها ونهضتها واستقرارها، وبفقد ذلك يحصل التفكك والتشظي وفقدان الهوية، وانتشار الخلافات وتتدهور العلاقات .

١٠- إِن من تمام الإِيمان بالله عز وجل وكماله؛ الانقياد والتسليم في كل ما يأتِ العبد ويذر، وإِن أَهل الإِيمان لا يجدون في أَنفسهم حرجًا مما قضى الله سبحانه وتعالى وقدَّر .

والحمد لله أَولًا وآخرًا، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع

١. **نوادر الأصول في أحاديث الرسول** ﷺ: الحكيم الترمذي (ت نحو ٣٢٠ هـ). تحقيق: عبد الرحمن عميرة. ط ١. بيروت: دار الجيل.

٢. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: أبو عمر ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ). تحقيق: علي محمد البجاوي. ط ١. بيروت: دار الجيل، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٣. **إكمَالُ المُعْلِمِ بفوائد مسلم**: القاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ). تحقيق: د. يحيى إسماعيل. ط ١. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٤. **أمراض القلب وشفاؤها**: ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ). ط ٢. القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٨م.

٥. **جامع البيان عن تأويل القرآن = تفسير الطبري**: أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط ١. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٦. **تفسير القرآن العظيم** = تفسير ابن كثير: أبو الفداء ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ). تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط ٢. القاهرة: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٧. **تفسير القرآن الكريم «سورة الزمر»**: ابن عثيمين (ت ١٤٢١ هـ). ط ١. القصيم: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م.

٨. **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**: ابن مسكويه (ت ٤٢١ هـ). تحقيق: ابن الخطيب. ط ١. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

٩. **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**: ابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ). ط ١. دمشق: دار النوادر، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٠. **التيسير بشرح الجامع الصغير**: المناوي (ت ١٠٣١ هـ). ط ٣. الرياض: مكتبة الإمام الشافعي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١١. **جامع الأصول في أحاديث الرسول**: ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ). تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون. ط ١. مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، ١٣٨٩هـ/ ١٣٩٢هـ - ١٩٦٩م/ ١٩٧٢م.

١٢. **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**: شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١ هـ). تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط ٢. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٣. **السلسلة الصحيحة**: الألباني (ت ١٤٢٠ هـ). ط ١. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ /١٤٢٢هـ - ١٩٩٥م/ ٢٠٠٢م.

١٤. **سنن البيهقي:** أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط ٣. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٥. **الجامع الكبير = سنن الترمذي:** محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ). تحقيق: بشار عواد معروف. ط ١. بيروت: دار الغرب الإسلامي: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٦. **المجتبى من السنن = السنن الصغرى:** النسائي (ت ٣٠٣ هـ). تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. ط ٢. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

١٧. **شرح السنة**: البغوي (ت ٥١٦ هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش. ط ٢. دمشق، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٨. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج = شرح النووي على مسلم:** محيي الدين النووي (ت ٦٧٦ هـ). ط ٢. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢ هـ.

١٩. **شرح صحيح البخاري**: ابن بطال (ت ٤٤٩ هـ). تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط ٢. الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢٠. **صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله** صلى الله عليه وسلم **وسننه وأيامه:** محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط ١. دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٢١. **صحيح الترغيب والترهيب**: الألباني (ت ١٤٢٠ هـ). ط ١. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

٢٢. **صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله** ﷺ**:** مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط ١. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢٣. **الطبقات الكبرى**: ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ). تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

٢٤. **عشرون حديثًا من صحيح البخاري دراسة أسانيدها وشرح متونها**: عبد المحسن العباد. ط ١. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٠٩هـ.
٢٥. **علم الأَخلاق الإسلامية**: مقداد يالجن. ط ٢. الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٢٦. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**: بدر الدين العيني (ت ٨٥٥ هـ). ط ١. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٢٧. **غريب الحديث** : ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ). تحقيق: د. عبد المعطي أمين القلعجي. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ – ١٩٨٥م.
٢٨. **فتح الباري**: ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ). ط ١. بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ.
فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي (ت ١٠٣١ هـ). ط ١. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ.
٢٩. **القاموس المحيط**: الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ). تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. ط ٨. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٣٠. **كشف المشكل من حديث الصحيحين**: ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ). تحقيق: علي حسين البواب. ط ١. الرياض: دار الوطن.
٣١. **اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح**: شمس الدين البرماوي (ت ٨٣١ هـ). تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب. ط ١. دمشق: دار النوادر، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.
٣٢. **لسان العرب**: ابن منظور (ت ٧١١ هـ). ط ٣. بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ.
٣٣. **لوامع الأنوار البهية**: السفاريني (ت ١١٨٨ هـ). ط ٢. دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.
٣٤. **مجمع الزوائد**: الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ). تحقيق: حسام الدين القدسي. ط ١. القاهرة: مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٣٥. **مجموع الفتاوى**: ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ). تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. ط ١. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٣٦. **المستدرك على الصحيحين**: الحاكم أبو عبد الله (ت ٤٠٥ هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.
٣٧. **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**: القاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ). ط ١. تونس: المكتبة العتيقة و القاهرة: دار التراث.
٣٨. **معالم السنن**: الخطابي (ت ٣٨٨ هـ). ط ١. حلب، المطبعة العلمية، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.
٣٩. **المفاتيح في شرح المصابيح**: المُظْهِري (ت ٧٢٧ هـ). تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب. ط ١. دمشق: دار النوادر، الكويت: وزارة الأوقاف الكويتية، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٤٠. **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**: أبو العباس القرطبي (ت ٦٥٦ هـ). تحقيق: محيي الدين ديب ميستو وآخرين. ط ١. بيروت: دار الكلم الطيب، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٤١. **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**: ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ). تحقيق: محمد رشاد سالم. ط ١. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
٤٢. **المنهاج في شعب الإيمان**: الحليمي (ت ٤٠٣ هـ). تحقيق: حلمي محمد فودة. ط ١. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٤٣. **الاستذكار**: أبو عمر ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ). تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.
٤٤. **النهاية في غريب الحديث والأثر**: ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ). تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي. ط ١. بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٤٥. **النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام**: القصّاب (ت نحو ٣٦٠ هـ). تحقيق: علي بن غازي التويجري وآخرين. ط ١. دار القيم - دار ابن عفان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.